أوراق مُغْـبَـرَّة

شاء الله أن تقع عيني على كلمات لأحد عمالقة هذا القرن.. رجل نقل الجهاد الإسلامي نقلة نوعية، أحيى به الله ركناً من أركان الإسلام المندثرة.. رجل سطر بمداد دمه أبيات الكرامة والعزة على صفحات تاريخنا المعاصر.. رجل كتب لنا تراثاً تحفظه الأجيال وتأخذ منه العبر والعظات. خلّد هذا الشيخ الجليل بكلامه جيلاً ربانياً من رجال هذه الأمة، ولكن الأمة لم تحفظ له الجميل، ولم ينل رحمه الله من علمائها ما يجب أن يحظى به أمثاله. وأنا إذ أنقل لكم هذا الكلام أقف عاجزاً أمام بُعد نظر هذا الشيخ المجاهد وسعة اطلاعة ودرايته بالأمور. لقد كتب شيخ المجاهدين في عصره هذه الكلمات منذ أكثر من عشر سنوات في مجلة "لهيب المعركة" بعنوان "المعادلات الصعبة" أنقلها لكم كاملة لتكون شاهدة على عظم هذه الأمة التي تخرج أمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ.
ملاحظة: ما كان بين هذين المعكوفين [..] فهو من كلامي.

"المعادلات الصعبة"
(لهيب المعركة: العدد 52 التاريخ 15/شوال 1409هـ الموافق: 20/أيار/1989).

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
لقد علمنا ربنا من خلال كتابه ومن خلال سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يتولى عباده الصالحين : "إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين" (الاعراف 196).. وهو يدافع عن عباده: "إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور" (الحج 38).. ورسم لنا سبحانه قانونا يطمئننا في رد كيد الكافرين: "وما كيد الكافرين إلا في ضلال" (غافر 50).. وتولى سبحانه إحباط مخططاتهم ورد مكائدهم: "إن الله لا يصلح عمل المفسدين" (يونس 81)... "ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله" (فاطر 43).. ويؤنسنا سبحانه بمعيته لعباده المتقين والمحسنين: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (النحل 128)، ولقد عودنا سبحانه من خلال رؤيتنا لأحداث المعركة في أفغانستان أن يحبط مؤمرات أعدائه ويتولى بنفسه سبحانه رد كيدهم في نحورهم. وأعداء الله وعلى رأسهم الأمريكان في هذه القضية الإسلامية الكبرى واقفون أمام معادلات صعبة، فهم أمام شعب مسلم يواجه عدوا تقليديا لأمريكا وهو الإتحاد السوفيتي، فهم يريدون أن يمرغوا كرامة الاتحاد السوفيتي في الأوحال، ولكنهم في نفس الوقت يفزعون من انتصار المسلمين ووصولهم إلى الحكم، لأن هذه طامة كبرى أعظم بكثير من بقاء الإتحاد السوفيتي في أفغانستان.
وهم منذ سنوات كذلك أمام معادلة صعبة أخرى وهي: إنهم يدركون أن قادة الجهاد الحقيقيين هم أبناء الدعوة الإسلامية أو الصادقون المخلصون الذين لا يباعون في أسواق النخاسة الدولية، ولا يشترون في جلسات الموائد الخضراء والليالي الحمراء، ولسان كل واحد كأنه يقول:

غريب من الخلان في كل بلدة..... إذا عظم المقصود قل المساعد

فهم لا يريدون أن يكون هؤلاء في مقدمة الصفوف، ويودون أن يكون صنائعهم هم القادة والسادة، ولكنهم في المقابل يدركون أن ثقل المعركة وإدارة دفتها بأيدي هؤلاء الصادقين الذين يرون الجهاد فريضة لازمة في أعناقهم، ولذا فهم يبذلون النفس والنفيس لمواجهة أعداء الله وطرد العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا. فكلما فكروا في اغتيالهم خافوا على الجهاد أن يتوقف أو يتزعزع، وعندها يضرب الروس بجذورهم في أعماق أرض أفغانستان على مقربة من الخليج والبترول العربي وباكستان. أما الآن وقد خرج الروس فلا بأس من اغتيال الأصوليين المتطرفين من أبناء الحركة الإسلامية والعلماء المخلصين وفي مقدمة هؤلاء حكمتيار وسياف. يقول لي الأستاذ رباني: لقد جاءني أحد الطيبين الباكستانيين وقال لي: لقد دفع لي ستون مليون روبية لاغتيالك، فخذ حذرك من أعدائك.
وتتلخص المؤامرة التي يدير رحاها أعداء الله وما أكثرهم .

يدير رحاها ألف كسرى وقيصر..... وألف مدير للمدير مدير

أقول خلاصة المؤامرة :
1- قتل القادة الأصوليين والمتزمتين. [ويقصد بهم القادة المخلصين]
2- إمداد المعتدلين بكميات هائلة من السلاح والمال. [ويقصد بهم ضعاف النفوس والمنافقين]
3- الضغط على الحكومة الباكستانية لتقبض يدها وتقلل تأييدها للاصوليين!!
4- الإيقاع بين الحكومة الباكستانية وقادة الجهاد.
5- العزف على نغمة الوهابية [أستُبدلت بالإرهاب] لضرب الإتجاه الإسلامي الصحيح، وإيقاع الفجوة بين الشعب الأفغاني وبين هؤلاء الصادقين، وكذلك إيغار صدر الشعب الأفغاني الطيب الأمي على العرب الذين أقبلوا على الشهادة وتسابقوا على الموت، فأحدثوا دويا هائلا في أعماق أفغانستان.
6- تحريك الجيش الهندي ليلقي بثقله في المعركة، وليحول دون سقوط نجيب، وبضغط من روسيا.
7- محاولة إرجاع ظاهر شاه [أستبدل بقرضاي] كحل مقبول لدى بعض المنتفعين.
8- تدريب أعداد كبيرة ممن يتبعون بعض المعتدلين تحت إشراف الأمريكان وإمدادهم بأحدث الأسلحة.

9- الاتصال المباشر بقادة الجهاد (الميدانيين) في أفغانستان دون الرجوع إلى أمراء الأحزاب وإمدادهم مباشرة.
10- فتح الطريق أمام صدر الدين آغاخان الذي يحمل ملياري دولار لتقوم المؤسسات التبشيرية بتنفيذ مشاريعها.

[ويفند الشيخ رحمه الله ستة نقاط فقط، وسوف أتكلم عن الباقي بعد انتهاء كلام الشيخ إنشاء الله]

1- أما عن قتل القادة الأصوليين: فقد أخذت المخابرات البريطانية على عاتقها تنفيذ عمليات الإغتيالات، وقد تستعين ببعض الدوائر الغربية. [وكان أول ضحية للمخابرات البريطانية – الأمريكية - الفرنسية هو القائد أحمد شاه مسعود]
3- أما عن تقليل المساعدات المالية: فقد كانت الحكومة الباكستانية تمد الأحزاب الجهادية ببعض المال ليعينهم على نقل معداتهم ومؤنهم إلى داخل أفغانستان، وفجأة وإذا بالحكومة الباكستانية تقلل المساعدات إلى الثلث، وأضحت الأحزاب الجهادية أمام معضلة نقل مهماتها إلى الداخل.
وقد فاتحني الأستاذ رباني بهذا قائلا: نحن نقف أمام مشكلة صعبة بشأن المهمات التي نريد نقلها إلى الداخل، وهي تكلف ملايين الروبيات، فقلت له: ماذا عن الحكومة الباكستانية؟ فقال: لقد خففت المساعدات المالية البسيطة إلى الثلث، فجاء بذهني المثالي العربي: (أحشفا وسوء كيلة؟!) [لم أقم على معنى هذا المثل !!] ثم قلت له: لقد كانت لجنة الإغاثة تتكفل بهذا الترحيل من قبل، وقد قدمت مشكورة خلال السنوات الماضية من خلال مكتب الخدمات كأجرة للترحيل ثلاثمائة مليون روبية باكستانية تقريبا، أي حوالي 15 مليون دولار، فأجاب الأستاذ رباني: لم نستلم منذ ستة أشهر تقريبا درهما واحدا من لجنة الإغاثة، ولقد أكد المهندس حكمتيار هذا الكلام.
والحق أنها معضلة محيرة وفي هذه الظروف الصعبة التي تحسم فيها المعركة، والمجاهدون يقفون على أبواب كابل، والحكم الشيوعي يؤذن بالسقوط والإنهيار، ونرجو الله أن يكون قريبا. وقال الشيخ رباني: هنالك مشكلة أخرى وهي مشكلة إطعام المجاهدين خاصة في المناطق التي أصابها القحط وعلى رأسها الولايات الشمالية والغربية من بدخشان إلى بادغيس وهرات. [ولقد أكرم الله عزام من أن يرى موقف باكستان اليوم]
4- أما عن محاولة الإيقاع بين الصادقين وبين الحكومة الباكستانية: فقد حدثني المهندس حكمتيار قائلا: طلب مني السفير الأمريكي قبل أيام أن أقابله في إسلام آباد فاعتذرت لضيق الوقت، فجاء السفير بنفسه إلى بيشاور وطلب مقابلتي، فأرسلت له أحد أعضاء الحزب، وإذا به يقول: إن هناك إشاعات أنكم تقومون بتدريب الاتحاد الاسلامي الجمهوري المنافس لحكومة بي نظير بوتو! فأمريكا تريد الإيقاع بين حكمتيار وبين الحكومة الباكستانية.
5- أما العزف على نغمة الوهابية: فهو الشغل الشاغل لأجهزة البث الغربية المرئية والمسموعة والمقروءة وعلى رأسها(BBC)، وقد أطلنا الكلام في افتتاحيات سابقة حول هذا الموضوع، حتى صار بعض المستغربين من الأفغان يطالبون صراحة بوجوب طرد العرب، وقد قام بعض المنتفعين أو المغفلين بإصدار الفتاوى بهذا، ولكن الصادقين من العلماء والقادة وقفوا بصرامة بالغة ليوقفوا هذا النغم النشاز، حتى قال الشيخ يونس خالص: "إن حب العرب جزء من ديننا". [وموقف الشيخ يونس هو موقف أكثر الأفغان وإن قال الإعلام الغربي والشرقي ما قال ليفرق بيننا وبين إخواننا الأفغان]. يقول لي الأخ عبدالسلام: كنت عائدا من قندهار فإذا بشخص أفغاني حليق اللحية يلبس نظاراته، فسألني من أين أنت؟ فقلت: أنا عربي، وأين كنت؟ فقلت في قندهار، وماذا تصنع هناك؟ فقلت: أساعد المجاهدين وأكفل الأيتام، فقال: لماذا لا ترجع إلى بلادك تجاهد فيها؟ فأجبته: من أين أنت؟ فقال: من قندهار، وأين تعيش؟ فقال: في ألمانيا، ومنذ متى؟ فقال: منذ ثماني سنوات، فقلت له: أنا أحمل الجنسية الأمريكية وأنا مهندس، وكان دخلي السنوي خمسة وعشرين ألف دولار، فتركت ذلك كله وجئت لخدمة المجاهدين في أفغانستان لأنها قضية إسلامية، وأما أنت فقد تركت أمك وأختك وأهلك يذبحون من قبل الروس وهربت تعيش في ألمانيا مع دنياك، فأي الفريقين أحق بأفغانستان؟! فبهت الذي ظلم نفسه. وفي كابل وعلى لافتات عريضة مكتوبة: حكمتيار زعيم الوهابية. [وها هي الـ "بي بي سي" تنجح في استغفال بعض الجهلة الأفغان وتحرضهم على المجاهدين العرب].
6- أما الجيش الهندي فليس بمستغرب عليه، لأنه منذ قرن تقريبا والدول الغربية تحركه ليذبح على مذابح شهواتها، فيوم أن انسحبت المانيا من مالطة تقدمت بريطانيا، ومن عادة الجيوش المنسحبة أن تزرع الألغام، وأما الجيوش التي تحل مكانها فإن من عادتها أن تشتري قطيعا من الحمير أو الأغنام فتسوقها أمام الجيش لتتفجر بها الألغام، وبدلا من أن تشتري قطيعا من الحمير فقد ساقت أمامها فيلقا هنديا وتفجرت به الألغام، وفي اليوم التالي كتبت الجرائد الإنجليزية: (دخلنا مالطة، خسائرنا لا شيئ، هلك الفيلق (الفرقة) الهندي بكامله). [وها هو قطيع الحمير قد رجع ينهق من جديد].
7- أما عن إرجاع ظاهر شاه: فلا زالت الوفود تتردد بين روما وعمان وبغداد وموسكو، ويقوم بهذا أناس ممن تربوا على بلاط ظاهر شاه، ولعل هذه الأنظمة تسهم بدورها وتدلي بدلوها لإرجاع المومياء المحنطة

في روما إلى كابل، والعجيب أن ظاهر شاه متحمس للعودة مع أن الموت ينتظره. [وقد دندن الأمريكان على وتر ظاهر شاه في بداية الحرب ولكن لما رأوا قلة التأييد الشعبي له عدلوا عنه إلى غيره].
هذه أحلام الكفار التي سيبددها ضوء النهار.. "وما كيد الكافرين إلا في ضلال" (غافر 50). ومع هذه المؤمرات كلها فإننا واثقون بفضل الله وبقرب نصره وتأييده، ومطمئنون بإذن الله إلى قرب قيام دولة إسلامية في أفغانستان بعد سقوط كابل -إن شاء الله- "ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا" (الإسراء 51) "... إنتهى كلام الشيخ رحمه الله .

ولنكمل التعليق على باقي النقاط 2 – 8 – 9 – 10:
2- إمداد المعتدلين بكميات هائلة من السلاح والمال: وقد فعلت أمريكا وحلفائها هذا وأمدت التحالف الشمالي بالعدة والسلاح حتى أسقطت حكومة طالبان الإسلامية.
8- تدريب أعداد كبيرة ممن يتبعون بعض المعتدلين تحت إشراف الأمريكان وإمدادهم بأحدث الأسلحة: ولقد أصبح المعتدلون اليوم هم أتباع حامد قراضاي (الأمريكي الجنسية)، وعبدالله عبدالله ويونس قانوني (العلمانيان أو اللادينيان)، والشيوعي العميل محمد فهيم، ورأس الشيوعية والكفر والإلحاد في أفغانستان عبدالرشيد دوستم. أما رباني وسياف فلا زالا من جملة المتطرفين حسب المقاييس الأمريكية.
9- الاتصال المباشر بقادة الجهاد (الميدانيين) في أفغانستان دون الرجوع إلى أمراء الأحزاب وإمدادهم مباشرة: وقد حصل هذا بتهميش دور برهان الدين رباني والإتصال بموظفون صغار عنده كأمثال: عبدالله عبدالله، ويونس قانوني، ومحمد فهيم وغيرهم.. وقد تم إبرازهم على الساحة الدولية يرددون ما تملي عليهم الحكومة الأمريكية، وتم تهميش القادة الكبار، واعتلى الدهماء عرش كابل.
10- فتح الطريق أمام صدر الدين آغا خان الذي يحمل ملياري دولار لتقوم المؤسسات التبشيرية بتنفيذ مشاريعها: وها قد رجع هذا العميل على شكل الموفد الخاص للحكومة الأمريكية في أفغانستان.. نسأل الله أن يحفظ أطفالنا في أفغانستان من كيد هذا وأمثاله.

إن هذه الكلمات التي سطرها شيخ المجاهدين ومجدد فقه الجهاد في هذا القرن الشيخ الدكتور عبدالله عزام رحمه الله كان يجب على علمائنا أن يحفظوها في مجلدات تكون شاهدة على حقبة مشرقة من تاريخ الأمة وتكون مصدراً من مصادر المعرفة بمجريات الأحداث، وذكرى للأجيال القادمة.

قـد كـان "عبدالله " ليثـا ثـائرا..... فـكأنه الـطود العظيم العـاتي
قـد كـان "عبدالله" مشعل أمـة..... شهدت له الاعداء فـي الجبهات
أسفي على تلك الـشمائل إنـهـا..... طويت كلمح البرق في الظلمـات

لقد أشعل هذا الشيخ الجليل نار الجهاد في الأمة من جديد، وحول الجهاد الأفغاني من ثورة شعبية إلى مدرسة جهادية تتربى عليها الأجيال وتُخرج الرجال.. لقد كان رحمه الله سداً منيعاً ضد المؤامرات العالمية التي أرادت استئصال فكرة الجهاد الوليد.. لقد ذكّر علماء الأمة بمفهوم الجهاد بعد أن غاب عن الأذهان وظهر الإرجاء في كل مكان.. جاهد في فلسطين ثم في أفغانستان وقلبه معلق بالأقصى يزرع حب بمسرى رسول الله في قلوب الأفغان السمراء التي كانت تُمطر الحمم.. أدرك أعداءه بأن هذا العملاق لن يلين ولن يستكين حتى يرى الأقصى محرراً.. فكادوا له ومكروا حتى أكرمه الله سبحانه وتعالى بالشهادة (نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله)، فمن يا ترى يكتب لنا تاريخ هذا الشيخ المجيد، ومن يا ترى من العلماء يحمل الراية من بعده ؟؟

عزام أنت مجدد للدين في..... زمن تشتت فيه شمل المسلمين
جددت أركان الجهاد فريضة..... غابت عن الساح المضيع من سنين
جاهدت بالقلم السديد وبالقنا..... والمال والنفس الزكية والبنين
هذي صحيفتكم (لهيب المعركة)..... وكذا (الجهاد) تنير درب السالكين
ربيت أجيالا على هدي النبوة..... والهداة من الأوائل راشدين

(وللفائدة، أذكر بعض الكتب اللتي كتبها هذا المفكر المجاهد العملاق ليقرأها شباب هذا الجيل من الصحوة الإسلامية: المنارة المفقودة - آيات الرحمن في جهاد الأفغان - الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان - العقيدة وأثرها في بناء الجيل - الإسلام ومستقبل البشرية - حماس الجذور التاريخية - سعادة البشرية – اتحاف العباد بفضائل الجهاد – في خضم المعركة – عبر وبصائر.. هذا غير الأشرطة السمعية والمرئية التي تحكي تاريخ الأمة الحديث). إن مثل هذه الكتابات لا بد أن تُبعث بين الفينة والأخرى ليتذكر الناس وليحذر المؤمنون كيد الكافرين.. لقد كتب الشيخ العلامة الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي حفظه الله رسالة في غاية الخطورة إبان حرب الخليج الثانية إلى المسؤولين في بلاده يبين لهم نوايا الأمريكان وخطر الإستعانة بهم وتمكين جيوشهم من دخول جزيرة العرب... إن تلك الكلمات التي سطرها منذ أكثر من عشر سنوات هي واقعنا الأليم الذي نعيشه اليوم.. تلك الكلمات التي جُمعت بين دفتي كتاب (وعد كسنجر)

هي في حقيقتها تفسيراً دقيقاً للمسرحية العالمية التي لم تنتهي فصولها بعد، فلا يجوز بأي حال من الأحوال إهمالها والتغاضي عنها كما فعلنا بمئات الدراسات والقراءات التي لو كانت عند غيرنا لأصبحت سياسات وخطوط عريضة تُبنى عليها قرارات الدول.. فمتى يُنفظ الغبار عن تلك الأوراق..

حسين بن محمود